جمعهم سلطان قاهر، وديوان حاضر، لَمَا بلغوا هذه الكثرة، مع أنه مات بالقلعة محبوساً من جهة السلطان. رحم الله شيخ الإسلام رحمة واسعة وأجزل له المثوبة والجزاء.

أهمية كتاب «اقتضاء الصِّراط المستقيم»:

لعلَّه من المفيد ـ ابتداءً ـ ذِكْر أن هذا الكتاب يُعَدُّ من الكتب الفريدة والنادرة التي أفرد مصنِّفه الحديثَ عن موضوع لَطالما جاء النهي عنه في كتاب الله تعالى وسُنة رسوله ﷺ، ألا وهو النهي عن التشبُّه بالكفّار، ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد:٣٧]، وقال سبحانه: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٢٠]. وفي هذا قال أهل التأويل: والزَّجر وقع عن اتباع أهوائهم في قليل أو كثير، ومن المعلوم أن متابعتهم في بعض ما هم عليه من الدِّين نوعُ متابعة لهم في بعض ما يهوَوْنه، أو مظنَّة لمتابعتهم فيما يهوونه.

والآيات الدالة على وجوب مخالفة اليهود والنصارى والمشركين ـ جملةً ـ كثيرةٌ، وكذا جاء في السُّنة المطهَّرة على لسان رسول الله ﷺ حيث يقول من باب الإخبار والتحذير: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن قَبلكم شِبراً بشِبْرٍ، وذراعاً بذراع، حتى لو سَلكوا جُحْر ضَبٍّ لَسلكتُموه»[1]، وقد وقع معظم ما أنذر به رسول الله ﷺ وسيقع بقيَّة ذلك، ومِن هنا تأتي أهميّة هذا الكتاب الذي بذل فيه شيخ الإسلام جهداً مباركاً بما ساقه من الحُجَج والبراهين من آيات الله تعالى الدالَّة على تحريم التشبُّه بالكفّار كذلك، ومن أدلَّة عقلية ومشاهدات شخصية عاشها وعاصرها في وقته وقد أوضح ذلك ـ رحمه الله ـ بقوله في بداية كتابه: «فإنّي نَهيتُ ـ إمّا مبتدئاً، وإمّا مجيباً ـ عن التشبُّه بالكفّار في أعيادهم، وأخبرتُ ببعض حِكمة الشرع ببعض ما في ذلك من الأثر القديم والدلالة الشرعية، وبيَّنت بعضَ حِكمة الشرع في مجانبة الكفّار من الكتابيِّين والأُميِّين، وما جاءت به الشريعةُ من مخالفة أهل الكتاب والأعاجم».

ثم إنه ـ رحمه الله ـ ذكر جملة من الأمور التي يُمكن أن يقلِّد

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

ويتشبَّه بها أبناء هذه الأمة بالكافرين وبَسَطَ القول فيها مع ذكر الأدلَّة على تحريمها والتحذير منها بما جاء في النصوص الصريحة الصحيحة، حيث نبَّه على أن كثيراً من المسلمين تساهلوا في كثير من أمور دينهم من خلال تشبُّههم وتقليدهم لأعدائهم، وأنهم قد غفلوا أو تغافلوا عن نهي الله تعالى لذلك وتحذير رسوله ﷺ من الوقوع في ذلك كما وقعت فيه الكثير من الأمم السالفة قبلهم، فساق جملة من الأمور المتعلقة بجانب العبادات كتقليدهم في أعيادهم واحتفالاتهم التي لم يأت بها الشَّرع ولا دعا إليها، وإنما فعلها وابتدعها سابقون كفارسَ والرُّوم، أو أعداء لهم كاليهود والنصارى مثل الاحتفال بيوم عاشوراء وبالموالد، وبليلة الإسراء والمعراج، وكإحداث صلوات لم يشرعها الله تعالى، كصلاة الرَّغائب، وغير ذلك من الأمور المتعلقة في جانب العبادات التي أراد المسلمون الجاهلون تقليد غيرهم من الأمم التي أحدثت في دينها ما لم يشرعه الله عليهم.

ثم ذكر ـ رحمه الله ـ وحذّرَ ممّا وقع فيه بعض المسلمين من التشبُّه بالكفّار في جانب العادات والأخلاق والسُّلوكيات كالتشبُّه بلباسهم والتكلُّم والرَّطانة بلغتهم من غير ضرورة.

وذكر كذلك وحذَّر ممّا رآه وعاصره من تشبُّه البعض بعقائدهم الباطلة والفاسدة مثل بناء المساجد على القبور والتبرُّك بها والطَّواف حولها، ودعاء الأموات من الأولياء والصالحين من دون الله والاستغاثة بهم، ونحو ذلك من البِدَع والشركيات التي من شأنها أن تُخِلَّ بجانب العقيدة الإسلامية الصافية من كلِّ هذه الشوائب والشُّبهات التي لم يقتصر وجودها على عصر المصنِّف أو قبله فحسب وإنما لا تزال حاضرة بين المسلمين في أماكن متعدِّدة، وهذا ما أخبر به ﷺ وحذَّر أُمَّته منه، وكلُّ ذلك وغيره شكَّل دافعاً قويّاً لشيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ لأن يدفع بهذا الكتاب بين ظَهْراني المسلمين لعلَّهم يحذرون ممّا نهى عنه الله تعالى ورسوله ﷺ، من خلال العودة إلى كتاب الله تعالى، والتمسُّك بسُنة نبيِّه ﷺ، والسَّير على نهج السَّلف الصالح، والابتعاد عن الابتداع في الدِّين، وهذا ما بيَّنه ووضَّحه المصنِّف ـ رحمه الله ـ في هذا الكتاب الفريد النافع في محتواه، الذي نفع الله به المسلمين سابقاً ولاحقاً إلى يوم الدِّين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، وصلَّى الله وسلَّمَ على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أَجمعينَ:

قال شيخُ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ رحمه الله تعالى:

۞ وأنا أُشيرُ إلى بعضِ أُمور أهلِ الكتاب والأعاجم التي ابتُلِيَت بها هذه الأُمةُ ليجتنبَ المسلمُ الحنيفُ الانحرافَ عن الصراطِ المستقيم إلى صراطِ المغضوبِ عليهم أو الضالِّينَ.

قال الله سبحانه: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة:١٠٩]، فذمَّ اليهودَ على ما حَسَدُوا المؤمنينَ على الهدى والعِلْم.

وقد يُبتَلَى بعضُ المنتسبين إلى العِلْم وغيرُهم بنوعٍ من الحسدِ لمن هَدَاه الله لعِلْم نافعٍ أو عملٍ صالحٍ، وهو خُلُق مذموم مُطلَقاً، وهو في هذا الموضعِ من أخلاقِ المغضوبِ عليهم. =

= وقال الله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ [الحديد:٢٣-٢٤] ﴿وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٣٧].

فوَصَفَهم بالبُخْل الذي هو البخلُ بالعِلْم والبخلُ بالمال، وإن كانَ السِّياقُ يدلُّ على أن البخل بالعِلْم هو المقصودُ الأكبر، فلذلك وَصَفَهم بكِتْمان العلم في غير آيةٍ، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ الآية [آل عمران:١٨٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ الآية [البقرة:١٥٩]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ الآية [البقرة:١٧٤]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة:١٤]. =

= فوَصَفَ المغضوبَ عليهم بأنهم يَكتُمونَ العِلم تارةً بخلاً به، وتارةً اعتِياضاً عن إظهارِه بالدنيا، وتارةً خَوفاً أن يُحتجَّ عليهم بما أَظهَرُوه منه.

وهذا قد ابتُلِيَ به طوائفُ من المنتسِبين إلى العلم، فإنَّهم تارةً يَكتُمونَ العلمَ بخلاً به وكراهةَ أن يَنالَ غيرُهم من الفضل ما نالُوه، وتارةً اعتِياضاً عنه برِياسةٍ أو مالٍ ويخافُ من إظهارِه انتقاصَ رياستِه أو نقصَ مالِه، وتارةً يكونُ قد خالَفَ غيرَه في مسألةٍ، أو اعتَزَى إلى طائفةٍ قد خُولِفَت في مسألةٍ فيَكتُم من العلم ما فيه حُجَّة لمخالِفِه وإن لم يَتيقَّن أن مخالفه مُبطِلٌ.

ولهذا قال عبدُ الرحمن بن مَهْدي وغيره: أهلُ العِلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهلُ الأهواءِ لا يكتبون إلا ما لهم.

وليس الغرضُ تفصيلَ ما يجبُ وما يُستَحَب، بل الغرضُ التنبيهُ على مجامعَ يَتفطَّنُ اللبيبُ بها لما يَنفعُه الله به. =

= وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ الآية [البقرة:٩١]، بعد أن قال: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩].

فوَصَفَ اليهودَ بأنهم كانوا يعرفون الحقَّ قبل ظُهورِ النبيِّ الناطقِ به، والداعي إليه، فلمَّا جاءهم النبيُّ الناطقُ به من غير طائفةٍ يَهوَونَها، لم ينقادُوا له، فإنهم لا يَقبَلُون الحقَّ إلا من الطائفة التي هم مُنتسِبون إليها، مع أنهم لا يَتَّبِعون ما لَزِمَهم في اعتقادِهم.

وهذا يُبتَلى به كثيرٌ من المنتسِبين إلى طائفةٍ معيَّنة في العلم أو الدِّين من المتفقِّهة أو المتصوِّفة أو غيرِهم، أو إلى رئيسٍ معظَّم عندهم في الدِّين غيرِ النبي ﷺ، فإنهم لا يَقبَلون من الدِّين لا فِقهاً ولا روايةً إلا ما جاءت به طائفتُهم، ثم إنهم لا يَعلَمُون ما تُوجِبُه طائفتُهم، مع أن دينَ =

= الإسلام يُوجِبُ اتباعَ الحق مطلَقاً روايةً وفِقهاً من غير تعيينِ شخصٍ أو طائفةٍ غيرِ الرسول ﷺ.

وقال تعالى في صِفَة المغضوبِ عليهم: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء:٤٦]، ووَصَفَهم بأنهم: ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران:٧٨]، والتحريفُ قد فُسِّر بتحريفِ التنزيلِ وبتحريفِ التأويلِ.

فأمَّا تحريفُ التأويلِ فكثيرٌ جدّاً، وقد ابتُلِيَت به طوائفُ من هذه الأُمَّة.

وأما تحريفُ التنزيلِ، فقد وَقَعَ فيه كثيرٌ من الناس يُحرِّفُون ألفاظَ الرسولِ ويَرْوُون أحاديثَ برواياتٍ مُنكَرةٍ، وإن كان الجهابذةُ يَدفعُون ذلك، وربما تَطاوَلَ بعضُهم إلى تحريفِ التنزيلِ وإن لم يُمكِنْه ذلك، كما قرأَ بعضُهم: «وكَلَّمَ اللهَ موسى تكليماً» [النساء:١٦٤]. =

= وأما تَطَاوُل بَعضِهم إلى السُّنَّة بما يُظَنُّ أنه من عندِ الله، فكوَضْع الوَضَّاعِين الأحاديثَ على رسول الله ﷺ، أو إقامةِ ما يُظَنُّ أنه حُجَّة في الدِّين وليس بحُجَّة.

وهذا الضَّربُ من نوعِ أخلاقِ اليهود، وذَمُّها في النصوص كثيرٌ لمن تدبَّر في كتاب الله وسُنَّة رسولِه، ثم نَظَرَ بنُورِ الإيمان إلى ما وَقَعَ في الأُمَّة من الأحداثِ.

وقال سبحانه عن النَّصارَى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ﴾ [النساء:١٧١]، وقال: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ [المائدة:١٧] إلى غيرِ ذلك من المواضعِ.

ثم إن الغُلوَّ في الأنبياءِ والصالحينَ قد وَقَع في طوائفَ مِن ضُلّال المُتعبِّدة والمتصوِّفة حتَّى خالط كثيراً منهم مِن =

= مذاهب الحُلولِ والاتحاد ما هو أقبحُ مِن قولِ النَّصارَى أو مثلُه أو دونَه[1]. [١]

[شرح١] كل هذا من المحبة الزائدة، التي ليس لها قيود بسبب الجهل، فإن كانت المحبة ليس لها قيود ولم تكن على بصيرة؛ أوقَعَتْ أهلها في الغلوّ في المشايخ، وفي الأنبياء، وفي العُبّاد حتى يُشبِهوا النصارى أو يقعوا فيما هو شرٌّ من النصارى.

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» ص٩.

والطبعة المعتمدة من «اقتضاء الصراط المستقيم» طبعة دار المعرفة، بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقي.

obeikandl.com

۞ وقال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾ [التوبة:٣١]، وفسَّره النبيُّ ﷺ لعَدِيِّ بن حاتم ﷺ بأنَّهم أحلُّوا لهم الحرامَ فأطاعوهم، وحرَّموا عليهمُ الحلالَ فاتَّبعُوهم[١].

وكثير مِن أتباع المُتعبِّدة يطيع بعضَ المُعظَّمينَ عندَه في كلِّ ما يأمرهُ به، وإنْ تضمَّن تحليلَ حرامٍ أو تحريمَ حلالٍ[٢]. [٢]

[شرح٢] يقول: هو أعلم منا ومنكم بالشرع؛ فيَنبِذ الكتاب والسنةَ وراء ظهره، ويتعلق بقوله: هو أعلم منا وأعلم منكم. وفي هذا خطر عظيم ولا حول ولا قوة إلا بالله، وفي ذلك قال السُّدِّي: استنصَحوا الرجالَ، ونبذوا كتابَ الله وراء ظهورهم*.

---

* س: قد يسكت بعض أهل العلم عن المنكر وهو يُفعَل في أوساط الناس، فيظن الناس أن هذا إقرار لهم؟

ج: السكوت على المنكر لا يجوز؛ فلا بد من إنكار المنكر، وقد بين النبي ﷺ أنه لا يجوز في غير ما حديث. =

---

(١) أخرجه الترمذي: تفسير القرآن (٣٠٩٥).

(٢) ص٩.

.....

= س: يعني: يُنكَر حتى يعلم الجماهير؟

ج: لا شك.

س: وكذلك المقلِّدون على عمى، قد أطاعوا مَن قلدوهم في أخطائهم وردُّوا بها صريح نصوص الكتاب والسنة.

ج: صدقت؛ فهذا وقع من كثير من المتعصبة.

س: كيف يُنكَر بالقلب؟

ج: يظهر ذلك بتمعُّر وتغيُّر وجهه، ومنه: مفارقتهم ما داموا على المنكر، فلا يجتمع معهم على منكر؛ حتى يعلموا أنه أنكر، فإذا لم يسمعوا له فإنه يجب أن يفارقهم، ولا يجلس معهم؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام:٦٨]، ويعرِّفهم من قيامه أنه استنكر، وهذا إذا كان لا يستطيع الكلام؛ أما إذا استطاع الكلام، فيجب أن يتكلم إذا ما أطاعوه، أما أن يسكت ويجلس معهم، وهو يراهم على المنكر، فهذا لا ينفع، والنهي عن المنكر كذلك في الدراسة، فهذا يستطيع أن ينكر باللسان أو بالقلب.

س: في الدراسة لا يستطيع أن ينكر باللسان؟

ج: إذا استقرت المنكرات عنده في محله، وكان لا يستطيع أن ينكر باللسان، فإنه ينكر بالقلب ويفارق المنكر. =

.....

= **س: حتى لو لم يكن محرماً؟**

ج: نعم، فلو شغله مباح كمن شغله الأكل عن الواجبات لا يجوز.

س: هل يكون اشتغاله هذا من العبادة؟

ج: لا يكون اشتغاله بهذا من العبادة له، بل هذا من الشغل المحرم، كما قال الله جل وعلا: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون:٩].

فإذا اشتغل بالبيع والشراء عن ذكر الله وعن صلاة الجماعة يكون هذا فعلاً محرماً، ولا يكون عابداً للتجارة؛ لكن يكون قد فعل معصيةً، وإذا شغله أيضاً أكله وشربه عن الصلاة، كأن يتعمد الأكل والشرب وقتَ الصلاة، أو شغله عن بِرِّ والديه، أو شغله عن إنكار المنكر، وما أشبه ذلك، فهذا معصيةٌ شغلته حتى جعلته عبداً لها وانشغل بها عن الواجب.

۞ وقال سبحانَه عن الضَّالِّين: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد:٢٧]، وقد ابتُلِيَ طوائفُ مِن المسلمين من الرهبانيَّة المُبتدَعة بما الله به عليمٌ[1]. [٣]

[شرح٣] وما أكثر ذلك، عبادةٌ ما أنزل الله بها من سلطان؛ لأن هذا مشاهَدٌ عند الصوفية أكثر ما يكون من غيرهم، والقاعدة: إن كل عبادة لم يجئ بها الشرع فهي من الرهبانية المبتدعة، سواء كانت العبادة ظاهرة أو في بيته، بينه وبين ربِّه.

فكل عبادة لم يشرعها الله ورسوله، ويستحسنها ويأتي بها هواه مثل: الموالد، ومثل: أن يصلي على النبي ﷺ جهرةً مع الأذان، ومثل: إذا دخل الخطيب يقول: يا أيها الناس صلوا على النبي ﷺ، وما شابه ذلك، فالمقصود أن الشيء الذي لم يشرعه الله، يأتي به أحد يتعبد به، سواء في نفسه، وفي داخل بيته دون يراه أحد، أو جهرةً عند الناس، فهذا من الرهبانية المبتدَعة*.

---

* س: ذكر الآية في حكم الصلاة على النبي ﷺ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب:٥٦]؟ =

---

(١) ص٩.

.....

= ج: هذا من باب التنبيه على شرعية الصلاة على النبي ﷺ في الخطبة.

س: هل ورد عنه شيء؟

ج: ما أتذكر أنه فيها شيء خاص، لكن يجيز العموم في الصلاة عليه ﷺ عند ذكره وتعليم الناس الصلاة التي يصلونها في الخطب، ويقولونها في الخطب ويدعون بها.

obeikandl.com

۞ وقال الله سبحانَه: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١]، فكان الضّالُّون بل والمغضوبُ عليهم، يَبنونَ المساجدَ على قبورِ الأنبياء والصالحين، وقد نهى النبيُّ ﷺ أُمَّتَه عن ذلك في غيرِ موضعٍ، حتى في وقت مُفارَقَتِه الدُّنيا ـ بأَبي هو وأُمي ـ، ثم إنَّ هذا قد ابتُلِيَ به كثيرٌ مِن هذه الأُمَّة.

ثم إنَّ الضّالّين تجدُ عامَّةَ دينِهم إنَّما يقوم بالأصواتِ المُطرِبَة، والصورِ الجميلةِ، فلا يهتمُّون في أمرِ دينِهم بأكثرَ مِن تلحينِ الأصواتِ.

ثم إنَّك تجدُ أنَّ هذه الأُمَّةَ قد ابتُلِيَت مِن اتخاذِ السَّماع المطربِ بسماع القصائدِ، بالصورِ والأصواتِ الجميلةِ، لإصلاح القلوبِ والأحوالِ، ما فيه مُضاهاةٌ لبعض حالِ الضّالّين[1]. [٤]

[شرح٤] وهذا ـ أعني: التعبد بالسماع والقصائد ـ كثير عند طوائف الصوفية، وهو مشابهٌ للنصارى؛ لأن النصارى يستكثرون =

(١) ص١٠.

.....

= من الأصوات والأغاني والطَّرَب وآلات الملاهي، وعلى ذلك بعض الناس، ففي الإذاعات وفي كل مكان تسمع أصوات الطرب والـموسيقى، وكل هذا من التأسِّي بالنصارى.

ووقع عُبّاد الصوفية في هذا الشيء وسمَّوه عبادة، وأن هذا الشيء مع العبادة يعلو فيه اتخاذ الأصوات المطربة، والسماع المطرب، والقصائد المطربة، وهذه تُنشِّطُهم وتشجعهم على العبادة، وهو من تزيين الشيطان ولو من دون آلات، وكذلك الشعر العربي فإنهم يتعبدون به وينشدونه فيما بينهم بزعمهم ليتقوَّوا به على العبادة*.

---

* س: **ألا يكون هذا أجذب للدعوة، يعني: يعطي تصويراً حسياً؟**

ج: الذي كفى الأولين يكفي الآخرين، وإن ما صلح به الأولون يكفي الآخرين، أما أن يأتوا بشيء منكر بقصد جذب الناس فلا وجه لذلك.

س: مثل من يمثِّلُ شخصيات من الصحابة أو من السلف أو من الناس الصالحين؛ لإظهار مظهر من المظاهر الطيبة حتى يكون قدوةً للناس، ويمكن أن يكون مظهره العام ليس كذلك، وإنما دعوةٌ إلى قول الله والرسول. =

.....

= ج: الدعوة إلى الفضيلة ممكنة بالطريق التي درج عليه المؤمنون، الدعوة إلى الله بالكلام؛ سيرتنا كذا وسنتنا كذا، وكان النبي ﷺ يفعل كذا، وكان فلان يفعل كذا. وتمثيل الناس مطلقاً فعندي فيه نظر، أما تمثيل الصحابة فلا شك في تحريمه وكذلك تمثيل النبي ﷺ من باب أولى، أما من دونهم فالأمر أسهل إذا لم يكن فيه كذب ولا ازدراء ولا إهانة.

س: ما رأيكم بالأناشيد الإسلامية، من حيث هي حماسية، وأشياء طيبة، وأصوات جماعية؟

ج: هذا إذا لم يكن فيها محذور، ولم تكن على طريقة النساء والتخنُّث، وكانت كإنشاد النبي ﷺ، وإنشاد حسّان بين يديه وكعب بن مالك، فلا بأس في ذلك.

obeikandl.com

۞ وقال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ ۞﴾ [البقرة:١١٣]، فأخبرَ أنَّ كلَّ واحدةٍ مِن الأُمَّتَينِ تَجحَد كلَّ ما عليه الأُخرَى، وأنت تجدُ كثيراً مِن المتفقِّهة إذا رأى المُتصوِّفةَ والمتعبِّدةَ، لا يراهم شيئاً، ولا يعدُّهم إلا جُهّالاً ضُلّالاً، ولا يعتقدُ في طريقِهم مِن العلمِ والهدَى شيئاً، وترَى كثيراً مِن المتصوِّفة والمُتفقِّرةِ لا يَرَى الشريعةَ والعلمَ شيئاً، بل يرى أن المتسكَ بهما مُنقطِعٌ عن الله، وأنَّه ليس عند أهلِها شيءٌ مما ينفعُ عندَ الله.

والصواب: أنَّ ما جاء به الكتابُ والسُّنَّةُ مِن هذا وهذا حقٌّ، وما خالفَ الكتابَ والسنةَ مِن هذا وهذا باطلٌ[1]. [٥]

[شرح٥] يعني: يجب على الطائفتين أن تُقِرَّ بالحق وتنكر الباطل؛ فعلى المتصوفة والمتفقِّرة أن يقروا بالحق الذي عند أهل الشريعة، وأن يعترفوا بذلك، ويشكروهم على ذلك، وعلى أهل الشريعة إذا كان عند المتصوفة حقٌّ أن يقروه، ويعترفوا بأن هذا حق، وينكروا =

---

(١) ص١٠.

.....

= عليهم ما هم عليه من الباطل، فلا يقول: كل ما عندهم باطل، مثل اليهود والنصارى، فكل واحدة تجحد ما عند الأخرى.

بل يجب أن يقر الحق فيما أتى به، وينكر الباطل فيما أتى به، وهذا باب العدل، فإذا اعترفت كل من الطائفتين بما عند الأخرى من الحق، وأنكرت ما عندها من الباطل، كان ذلك من أسباب دخول الطائفة الأخرى إلى الحق، وقبولها الحق، إلخ.

obeikandl.com

۞ وأما مُشابهةُ فارسَ والرومَ: فقد دخلَ منه في هذه الأُمَّةِ مِن الآثارِ الروميةِ قولاً وعملاً، والآثارِ الفارسيةِ قولاً وعملاً، ما لا خفاءَ فيه على مؤمنٍ عليمٍ بدينِ الإسلام، وبما حَدَثَ فيه.

وليس الغرضُ هنا تفصيلَ الأمورِ التي وقعَت في الأُمَّة مما تُضارِع طريقَ المغضوبِ عليهم أو الضّالّين، وإن كان بعضُ ذلك قد يقعُ مغفوراً لصاحبِهِ، إما لاجتهادٍ أخطأ فيه، وإمّا لحسناتٍ مَحَتِ السيئاتِ، أو غيرِ ذلك[1]. [٦]

[شرح٦] يعني: التشبه بهؤلاء يكون على أقسام:

القسم الأول: قد يكون رِدَّةً، مثل: التشبه بهم في كفرهم وضلالهم واعتقادهم الباطل، وقد يكون معصيةً، مثل: التشبه بهم في شرب الخمر والأغاني المنكرة وأشباه ذلك.

القسم الثاني: من باب المعاصي إذا لم يعتقد حِلَّ ذلك.

القسم الثالث: قد يكون أيضاً من باب المغفور له؛ لأنه فَعَلَه =

---

(١) ص١٠-١١.

.....

= على الاجتهاد، ويحسب أنه من الدين، فأخطأ في ذلك، فيكون قد ظهر له وجه اجتهاد، وبالحسنات والأعمال الصالحات تُمحَى السيئات.

فالمقام في هذا مقام تفصيل، ولكن المقصود إنكار تَعمُّد هذا الشيء واقترافه، وأن يقصد مشابهة أعداء الله في أعمالهم وأقوالهم.

obeikandl.com

۞ وإنما الغرضُ أن تتبيَّنَ ضرورةَ العبدِ وفاقتَه إلى هدايةِ الصراطِ المستقيمِ، وأن ينفتحَ لك بابٌ إلى معرفةِ الانحرافِ لِتحذَره.

ثم إن الصراطَ المستقيمَ: هو أمورٌ باطنةٌ في القلب، من اعتقاداتٍ وإراداتٍ وغيرِ ذلكَ، وأمورٌ ظاهرةٌ مِن أقوالٍ وأفعالٍ، قد تكون عباداتٍ وقد تكون أيضاً عاداتٍ في الطعامِ، واللباسِ، والنِّكاح، والمَسكَنِ، والاجتماع، والافتراقِ، والسفر، والإقامة، والرُّكوبِ وغيرِ ذلك.

وهذه الأمورُ الباطنةُ والظاهرةُ، بينهما ولا بُدَّ ارتباطٌ ومناسبةٌ، فإنَّ ما يقومُ بالقلبِ مِن الشعورِ والحالِ، يوجبُ أُموراً ظاهرةً، وما يقومُ بالظاهرِ مِن سائرِ الأعمالِ يوجبُ للقلبِ شعوراً وأحوالاً.

وقد بعثَ اللهُ عبدَه ورسولَه محمداً ﷺ بالحِكمةِ التي هي سُنَّتُه، وهي الشِّرعةُ والمِنهاجُ الذي شَرَعَه له.

فكان مِن هذه الحِكمَة: أنْ شَرَعَ له مِن الأعمالِ والأقوالِ =

= ما يُباين سبيلَ المغضوبِ عليهم، والضَّالّين، وأمرَ بمخالفتِهم في الهَدْي الظاهرِ، وإنْ لم يظهر لكثيرٍ من الخَلقِ في ذلكَ مَفسَدةٌ، لأمور:

منها: أن المشاركةَ في الهَدْي الظاهرِ تورِثُ تناسباً وتَشاكُلاً بين المتشابِهَينِ، يقود إلى الموافقةِ في الأخلاقِ والأعمالِ، وهذا أمرٌ محسوسٌ، فإنَّ اللابسَ لثيابِ أهلِ العلمِ مثلاً، يجدُ مِن نفسِه نوعَ انضمامٍ إليهم، واللابسَ لثيابِ الجُندِ المُقاتِلَة مثلاً، يجدُ في نفسِه نوعَ تَخلُّقٍ بأخلاقِهم، ويصيرُ طبعُه مُقتَضِياً لذلك، إلّا أنْ يمنعَه مِن ذلك مانعٌ[1]. [٧]

[شرح٧] المشابهة في الظاهر قد تجرّ إلى مشابهة أهل الباطل في العقيدة، فقد تجر إلى الكفر بالله، فلهذا نهى الله عن التشبُّه بأعداء الله؛ لئلا تجرَّ المشابهةُ الظاهرة إلى المشابهة الباطنة، وذلك بالاعتقاد الباطل، ولا يتعلقون بالله جل وعلا وغير هذا، ومثَّل المؤلفُ بالتشبه بلباس العلماء ولباس الجُند؛ لأن هذا قد يجرّ صاحبَه إلى =

---

(١) ص١١.

.....

= أنه يشعر بنوع انضمام إلى هؤلاء، كما أن العقيدة الباطلة تجر إلى المشابهة الظاهرة، فإذا اعتقد عقيدة المنافقين شابَهَهم، وإذا اعتقد عقيدة اليهود شابههم في الغالب، وإذا اعتقد عقيدة الحلوليَّة شابههم في الظاهر، وهكذا فالعقائد الباطلة تجر إلى مشابهة الظاهر، والعكس كذلك فالمشابهة الظاهرة قد تجر صاحبها إلى الموافقة في الباطن على العقيدة والأخلاق التي تَخلَّق بها هؤلاء.

obeikandl.com

۞ ومنها: أن المخالفةَ في الهَدْي الظاهرِ تُوجِب مُباينةً ومُفارقةً، تُوجبُ الانقطاعَ عن موجباتِ الغضبِ، وأسبابِ الضلالِ، والانعطافَ إلى أهلِ الهُدَى والرضوانِ، وتُحقِّق ما قطعَ اللهُ مِن الموالاةِ بين جُندِه المُفلِحين وأعدائه الخاسرين، وكلَّما كان القلبُ أتَمَّ حياةً وأعرفَ بالإسلامِ الذي هو الإسلامُ ـ لستُ أعني مجردَ التوسُّمِ به ظاهراً، أو باطناً بمجرَّدِ الاعتقاداتِ التقليديَّة، من حيث الجملةُ ـ كان إحساسُه بمفارقةِ اليهودِ والنصارَى باطناً أو ظاهراً أتَمَّ، وبُعدُهُ عن أخلاقِهم الموجودةِ في بعض المسلمين أشدَّ.

ومنها: أنَّ مشاركتَهم في الهُدَى الظاهرِ تُوجِب الاختلاطَ الظاهرَ، حتَّى يرتفعَ التمييزُ ظاهراً بين المَهديِّين المَرضِيِّين، وبين المغضوبِ عليهم والضالينَ، إلى غيرِ ذلكَ من الأسبابِ الحُكمِيَّة.

هذا إذا لم يكن ذلك الهُدَى الظاهر إلا مباحاً محضاً، لو تجرَّد عن مشابَهتِهم، فأمّا إنْ كان مِن موجباتِ كُفرِهم فإنّه =

= يكون شعبةً مِن شُعَبِ الكُفرِ، فموافقتُهم فيه موافقةٌ في نوع مِن أنواع ضلالِهم ومعاصِيهِم.

فهذا أصلٌ ينبغي أن يُتفَطَّنَ له، والله أعلمُ[1]. [٨]

[شرح٨] صدق رحمه الله، وهذا واقع أيضاً في بلدان كثيرة لأناس كثيرين، فالمشابهة في الظاهر قد تدعو إلى الاختلاط التامّ وعدم التريُّث، حتى لا يُرَى هذا من هذا إلا بالـهُوية التي في يده أو الجواز، وإلا فهو مُبتلًى متشبِّهٌ بهم في كل شيءٍ مِن أحوالهم، وهذا بلا شك يجرّ إلى العقيدة والأخلاق الفاسدة.

---

(١) ص١٢.

obeikandl.com